مفهوم الإستطيقا وإشكالياته في فلسفة الصّورة عند هوسّرل

د. وصال العش عزديني

أستاذة الجماليات وفلسفة الصّورة
بالجامعة التونسيّة - صفاقس

[ملخص البحث]

لقد اهتمّ هوسّرل بالمعارف العلميّة والرّياضيّة والمنطقيّة. لكنَّه بحث أيضًا في الفنون والجمال فنومينولوجيًّا. لذلك، تبحث هذه المقالة في مسألة مفهوم الإستطيقا وإشكالياته ضمن فلسفة الصّورة والفنومنولوجيا عند هوسّرل. غير أنَّ البحث في هذه الإشكاليّة لا يخلو من مخاطرة، لأنَّ ترجمة المفاهيم الهوسّرليّة تواجه عدَّة صعوبات. لعلَّ من أهمِّها، عدم استقرار المصطلح الفنومينولوجي الهوسّرلي في الترجمة العربية لهوسرّل، القليلة أصلا، والأكثر قلّة في شقّها الإستطيقي. وبالتّالي، انحصرت معظم الكتابات المتعلّقة بالمادّة الإستطيقيّة في إطار النّدوات والملتقيات العلميّة، ولم تُفْرَد في هذا الشأن كتابة متخصّصة في المبحث الإستطيقي والفنومينولوجي. إنّنا نعالج هذه الإشكاليّة، استنادا إلى مخطوطات هوسّرل: فنطاسيا، وعي الصّورة، التذكّر لأنَّها تقدّم رؤية مفصّلة لأنماط الصّورة وللمفاهيم الفنومنولوجيّة. وبالتّالي، تتبّع مفهوم الوعي الإستطيقي ضمن مفهوم وعي الصوّرة وإمكانية تفكّر مفهوم الإستطيقا في فلسفة الصّورة. حاولنا في هذه المقالة الاستناد إلى بعض ما كُتِبَ وترجم إلى العربية ... يمكن الإشارة في هذا الإطار إلى اللَّبْسِ الذي يواجهه الباحث في التعاطي مع مفهوم الصّورة Bild، والذي يتّخذ معناه في الفنومينولوجيا عدّة مستويات. وقد تطلّب ذلك مناقشة سيمونطقية لضبط دلالاته بحسب السياقات والمرجعيات التي يتحرّك ضمنها الفكر الهوسّرلي. وقد ميَّزنا في هذا الإطار وعي الصورة Bildbewusstsein عن الصّورة، عندما يتعلّق الأمر بفصل الفهم الفنومينولوجي عن الفهم الذي يقترح في نظرية الصّورة Bildertheorie كما تتواتر في الإرث الأمبريقي.

أخيرا، نتبيّن أنّ ضرورة البحث وتدقيق النّظر في إشكالية المفهوم الإستطيقي، تتطلّب عودة إلى المنهج الفنومنولوجي القويم وإلى الأفعال القصديّة حسب هوسّرل.

[Abstract]

Husserl was interested in scientific, mathematical and logical knowledge. But, he also studied the arts and the beauty of phenomenology. Therefore, this article explores the concept of aesthetics and its problems in the philosophy of image, art and philosophy at Husserl.

Most of the writings on Husserl's aesthetic concepts are limited to seminars and scientific forums, without elaborating a specialized writing devoted to aesthetics or phenomenology. In addressing this article, the question of the phenomenological concept and the form of the reproductive consciousness, we enter the space of the material imagination and its physical productions in the aesthetic philosophy of Husserl.
This is results in the instability of the phenomenological term of Husserl in the Arabic translation, which is practically absent in the aesthetic aspect. In this context, we have tried to take advantage of what has been written and translated in Arabic, and elsewhere. When it comes to separating understanding from the phenomenology of understanding proposed in image theory (Bildertheorie), it is difficult to find possible synonyms for these terms.

Finally, this interrogation receives in Husserl its solution by the orientation of a good phenomenological method and towards the acts which aim at them

مقدّمة:

كانت ولادة مفهوم الإستطيقا نتاجًا للنّظريّة الفلسفيّة والوسيط الذي نزّلها مكانة خاصّة داخل أنظمة الفكر الفلسفي؛ وبالتّالي: فإنَّ عمليّة الوعي الإستطيقي، الّذي كان هوسِّرل[1] قد أسّس له في كتاباته الأولى، تستنطق كلّ إحساس إستطيقي بين ما هو متمثّل وبين ما يوجد كواقع فعلي ويمتّن الرّابطة بين الفعل الإستطيقي والمعرفي الفلسفي والحياتي داخل فنومينولوجياه. لقد اهتمّ هوسّرل بالمعارف العلميّة والرّياضيّة والمنطقيّة. لكنَّه بحث أيضًا في الفنون والجمال فنومينولوجيًّا؛ **لذلك**، تبحث هذه المقالة في مسألة مفهوم الإستطيقا وإشكالياته في فلسفة الصّورة والفنومنولوجيا عند هوسّرل. غير أنَّ البحث في هذه الإشكاليّة لا يخلو من مخاطرة؛ لأنَّ النّصوص التي يخصّصها مؤسس الفنومينولوجيا لمبحث الإستطيقا قليلة، وهوسّرل، بخلاف أستاذه برانتانو الذي ترك مؤلفًا تحت عنوان: **الخصائص الأساسية للإستطيقا**[2]، لا يُفْرِدُ كتابًا لعرض أسس المبحث الجمالي ومحاوره. ويضاف إلى هذا النقص الببليوغرافي عوامل أخرى تُعسِّر قراءة الفكر الإستطيقي في فنومينولوجيا هوسّرل، ومنها خاصّة اتجاهه في مرحلتَيْ تدريسه في غوتنغن (Göttingen) وفريبورغ (Fribourg)، إلى بناء أسس فلسفة الظّواهر ضمن تصوّر علمي وترنسندنتالي لا تبدو فيها المباحث الإستطيقية بيّنة وأوّلية. واعتماد تلك الفلسفة على

(١) أدموند هوسّرل فيلسوف ألماني، ولد في مدينة بروسنتز مقاطعة مورافيا سنة (١٨٥٩م)، وتوفّي في فرايبورغ سنة (١٩٣٨م)، ويعتبر مؤسِّسًا للفلسفة الفنومينولوجية المعاصرة. درس الرّياضيّات في فيانا وحصل على شهادة الدكتوراه سنة (١٨٨٣م). لقد تابع هوسّرل دروس فرانز برنتانو في فيانا وانخرط في مسار علمي ومنطقي ومعرفي استمرّ أكثر من أربعين عامًا كتب خلالها أعمالًا كثيرة لم ينشر منها في حياته إلاّ القليل. ومن أهمّ تلك الأعمال نذكر: **فلسفة علم الحساب** (١٨٩١)، **بحوث منطقيّة** (١٩٠٠- ١٩٠١)، **الفلسفة علم صارم** (١٩١١)، **أفكار: مقدّمة عامّة لفلسفة فنومينولوجية خالصة** (١٩١٣)، **المنطق الصّوري والمتعالي** (١٩٢٩)، **تاملات ديكارتيّة** (١٩٣٢)، **أزمة العلوم الأوروبية والفنومينولوجيا المتعالية** (١٩٣٦) **والتّجربة والحكم** (١٩٣٩). ظلّت أعمالًا ودروسًا كثيرة لهوسّرل في شكل مخطوطات. وقد نشر بعضها بعد وفاته، ونذكر منها خاصّة نصوصه التي تضمنت جزءًا من دروسه لسنتي (١٨٩٨- ١٩٢٥)، ونشرت تحت عنوان: **فنطاسيا، ووعي الصّورة، والتذكّر** (ترجمت إلى الفرنسية سنة (٢٠٠٢):
Phantasia, conscience d'image, souvenir, (De la phénoménologie des présentifications intuitives), textes posthumes (1898-1925), traduction de l'allemand par Raymond Kassis et J.-F. Pestureau et Marc Richir, int. Eduard Marbach, traduction avec le concours du Centre national du livre, (traduction française, J.-F. Pestureau), Jérôme Millon, Grenoble, 2002.

تأثّر بهوسّرل العديد من الفلاسفة والمفكّرين الذين تابعوا دروسه في ألمانيا ومنهم خاصّة: هيدغير، أوجان فنك،

وروما إنغاردن، وجون بول سارتر، وألفرد شوتز، وميكال دوفرين، وإيمانويل لفيناس ...

(٢) الكتاب هو عبارة عن دروس قدّمها فراز برانتانو سنتي (١٨٨٥، و١٨٨٦)، ونشر بعد موته في نسخة مختصرة بالألمانية سنة (١٩٥٩) من قبل فرانزيسكا ماير هيلبراند (Franciszka Mayer-Hillebrand) تحت عنوان: Grundzüge der Ästhetik. ونشير إلى هذا الكتاب؛ لأنَّ الكثير من آراء هوسّرل حول الإستطيقا قد تبلورت من خلال مناقشة نقديّة لأهمّ أفكار برانتانو في هذا الكتاب.

إجـراءات «الإيبوخيـا» (Epoché) وتطبيقهـا لمنهـج الـرّد الفنومينولوجـي عـلى معـارف الحـواسّ وكلّ مـا لـه صلـة بالموقـف الطبيعـي وعالَـم القيـم المرتبـط بـه[٣]، كلّ ذلـك أدّى إلى وضـع ملتبـس للظّواهـر المتعلّقـة بالصّـور الفنيّـة والآثـار الجميلـة والأعـمال الثّقافيـة داخـل حقـل التّفكـير الفنومينولوجـي. فـما هـي أهـمّ الصّعوبـات الّتـي تواجـه القـارئ أمـام المفاهيـم المرتبطـة بفلسـفة الصّـورة في فنومينولوجيـا هـوسّرل؟ وفيـم تتمثّـل فكـرة الإسـتطيقا عنـد هـوسّرل؟ ومـا هـي أهـمّ تطوّراتهـا؟

(١) صعوبة ترجمة المفهوم الهوسّرلي:

تعتـبر مسـألة ترجمـة المفاهيـم الهوسّرليّة مـن أكـبر الصّعوبـات التـي تنتـج عـن عـدم اسـتقرار المصطلـح الفنومينولوجـي الهـوسّرلي في الترجمـة العربيـة لهـوسرّل، القليلـة أصـلًا، والأكـثر قلّـة في شـقّها الإسـتطيقي[٤]. وقـد حاولنـا في هـذا الإطـار الاسـتناد إلى بعـض مـا كُتِـبَ وترجـم إلى العربيـة[٥]، وفي مواضـع أخـرى صعوبـة إيجـاد مرادفـات ممكنـة لتلـك المصطلحـات. ويمكـن الإشـارة في هـذا الإطـار إلى اللَّبْـسِ الـذي يواجهـه الباحـث في التعاطـي مـع مفهـوم الصّـورة (Bild)، والـذي يتّخـذ معنـاه في الفنومينولوجيـا عـدّة مسـتويات ترتبـط بعلاقاتـه وأوضاعـه المعرفيـة والإسـتطيقية المختلفـة. وقـد تطلّـب ذلـك مناقشـة سـيمونطقية لضبـط دلالاتـه بحسـب السـياقات والمرجعيـات التـي يتحـرّك ضمنهـا الفكـر الهـوسّرلي. وقـد ميزنـا في هـذا الإطـار وعـي الصـورة (Bildbewusstsein) عـن الصّـورة، عندمـا يتعلّـق الأمـر بفصـل الفهـم الفنومينولوجـي عـن الفهـم الـذي يقـترح في نظريـة الصّـورة (Bildertheorie) كـما تتواتـر في الإرث الأمبريقـي. يمكـن في هـذا الإطـار اسـتخدام -عـلى غـرار مـا فعلتـه دراسـات أخـرى- مصطلـح «موضـوع صـورة» لترجمـة مفهـوم الـ (Bildobjekt)، والـذي تكـون فيه الصورة

(٣) ذلك ما تعلنه خاصّة (الفقرة ٥٦) من كتاب هوسّرل أفكار ١ (Idées directrices pour une phénoménologie et une philosophie phénoménologique pures, t.1: Introduction générale à la phénoménologie pure, traduction P. Ricœur, Gallimard, Paris, 1950, §.56, p.188).

(٤) انحصـرت معظـم الكتابـات المتعلّقـة بالمـادّة الإسـتطيقيّة لهـوسّرل في إطـار النّـدوات والملتقيـات العلميّـة، ولـم تُفْـرد في هـذا الشـأن كتابـة متخصّصـة في المبحـث الإسـتطيقي والفنومينولوجـي.

(٥) نشـير في هـذا الصـدد إلى ترجمـة نـص لهـوسّرل مـن قِبَـلِ محمـد محسـن الزارعـي وعـز العـرب لحكيـم بنـاني ويتمثّـل في «رسـالة هـوسّرل إلى فـون هوفمنسـتال (غوتنغـن، في ١٢ جانفـي ١٩٠٧)»، ورد ضمـن كتـاب جماعـي **الفنطاسـيا والإبـداع الفنّـي (دراسـات في فنومينولوجيـا الصُّـورة)**، منشـورات وحـدة بحـث ثقافـات فنيّـة، ومعـارف وتكنولوجيـا، سلسـلة فنـون (عـدد ١٠)، قابس-تونـس، (٢٠١٠)، (ص ص/ ١٥٦- ١٦٠). وفيـه دقّـق هـوسّرل علاقـة الفـن بالمنهـج الفنومينولوجـي.

منغمسة في الحاضر وتمثّل ما هو حاضر، ومصطلح «ذات صورة» لترجمة مفهوم الـ (Bildsubjekt) للتعبير عن الوضع الذي تدلّ فيه الصّورة عن اللا حضور أو ما «لا يحضر إلاّ في الذات»[٦].

ومن المفاهيم الصّعبة الأخرى ذات العلاقة بمفهوم الصّورة، هي مفهوم الـ (Phantasia) والذي لا يخلو بدوره من لَبسٍ سواء من حيث معناه أو تعريبه. وقد عرّبنا المفهوم كما يرد في التّقاليد الفلسفية اليونانية، والتي يستأنفها هوسّرل من غير أن يلتزم سلفًا بمضامينها النفسية، واستخدمنا مصطلح «الفنطاسيا»، وميّزنا بينه وبين مصطلح الصورة الذي يمكن أن يشير إلى ما هو فيزيائي. فالمصطلح الأوّل يشير إلى حال «التوهّم»؛ أي إلى الخيال الحرّ والمحض. فالفنطاسيا تقتصر على الجانب الذاتي من الصورة. كما عرَّبنا مصطلح الـ (Phantasmé)، بالمتوهَّم أو الفنطاسمي للإشارة إلى موضوع «الفنطاسيا»، والذي لا يحيل بدوره إلى أيّ سمة من سمات الحضور الفيزيائي.

ونشير أخيرًا إلى مفهوم الـ (Verbildlichung)، وقد تمت ترجمته إلى الفرنسية بمصطلح الـ (Présentification). فالمفهوم يشير إلى حالة من التمثّل لا يمكن أن يعبّر عنها المفهوم التقليدي المعروف: الـ (Représentation). فهو تمثّل خاصّ وحرّ وخارق وينجز بالخيالي وفيه، وقد حاولنا في هذا الإطار التعاطي إيجابيًّا مع ترجمات عربية للمفهوم صاغته في معنى الاستحضار[٧] بما يتضمَّنه هذا الأخير من أفعال تشير إلى الحركة الحرّة أو التداعي الحرّ والقدرة الخلاّقة وغيرها من الأفعال الدّالة على فعل مبتكر ولا يكرّر.

لعلّ قلّة الدّراسات العربيّة المتخصصة حول **الإستطيقا الفنومينولوجية**، من بين أهمّ الصّعوبات في فلسفة الصّورة عند هوسّرل ويمكن الإشارة إلى بعضها[٨]، وإذا استثنينا بعض ما كتب حول إستطيقا هوسّرل وخاصّة إثر نشر مخطوطاته **فنطاسيا، وعي الصّورة، التذكّر**، فإننا لا نجد تعدّدا ببليوغرافيًّا يمكن الانطلاق منه لتقديم تشخيص إيجابي حول تطوّر

(٦) الزّارعي، «الصُّورة والاستدعاء»، نشر ضمن كتاب **مقاربات الصُّورة**، سلسلة فنون، قابس- تونس، (٢٠٠٤)، (ص/ ٣٦، (ص ص/ ٢٩- ٤٧).

(٧) انظر مثلًا: الزّارعي، **القصديّة والإبداع (مقاربات للصّورة الفنيّة)**، المغاربيّة للتّوزيع، (ط. ١)، تونس، (٢٠١٢)، (ص ص/ ١١٨، ١١٩).

(٨) ويمكن أن نضيف إليهما الدّارس العربي سعيد توفيق في كتابه **الخبرة الجماليَّة (دراسة في فلسفة الجمال الظَّاهراتيَّة)**، المؤسَّسة الجامعيَّة للدراسات والنَّشر والتوزيع، (ط. ١)، بيروت، (١٩٩٢). يعتبر هذا الكتاب عملا مميّزا وجادّا في عمليّة تفكّره للمسألة الإستطيقيّة والفنومينولوجية عامّة وانطلاقًا من تقديمه للأفكار الفلسفيّة الهامّة لهايدغر ومرلو- بونتي ودوفران وسارتر وإنغاردن.

المباحث الإستطيقية الفنومينولوجية عند هوسّرل في الكتابات الفلسفية والجمالية العربية. ولكن بقدر ما مثّل هذا العامل دافعًا لخوض تجربة البحث في هذا المجال؛ إلَّا أنّه يُبْقِي على عوائق شتّى لمن يحاول تأسيس تقاليد بحوث عربية جادّة في هذا الإطار.

ولكن بقدر ما مثّل هذا العامل دافعًا لخوض تجربة البحث في هذا المجال؛ إلَّا أنّه يُبْقِي على عوائق شتّى لمن يحاول تأسيس تقاليد بحوث عربية جادّة في هذا الإطار.

(٢) مفهوم الإستطيقا وصعوبات التّفكير في مبحثه الفنومينولوجي:

تتمثّل الصّعوبة هنا عند تفكُّرنا مفهوم الإستطيقا في التّفاوت الكبير بين الاهتمامات المخصّصة لدراسة فكر هوسّرل المعرفي والاهتمامات المخصّصة لفكره الإستطيقي، وقد انعكس ذلك سلبًا على التقدّم في تحقيق المخطوطات الهوسّرلية وترجماتها إلى اللّغات الأخرى. فقد ظلّت أعمالٌ كثيرة خصّصها هوسّرل إلى المبحث الفنّي غير محقّقة ممَّا يجعل إمكانية الاستفادة منها متعذِّرة. والإشارة إلى هذه الصعوبة تأتي في باب الإشارة إلى حدود البحث. فهو يتحرّك ضمن جملة أعمال هوسّرل والتي نُشرت وتُرجمت، ولكنَّه لا يدّعي تقديم رؤية كاملة حول المسألة المدروسة.

ولكن، إذ نبدأ بالإشارة إلى صعوبات تفكير مفهوم الإستطيقا في فنومينولوجيا هوسّرل، نحاول قراءة ما تخفيه من إمكانات، مفترضين أنّها تحفّز على تعميق النظر في معنى مغاير لإستطيقا يشتق من الفنومينولوجي ومن ممارسة منهج الفنومينولوجيا ذاتها. ولعلّ رومان إنغاردن، وهو أحد مساعدي هوسّرل، قد نبّه من قبل إلى ذلك المعنى عندما أشار في النصّ الذي كتبه سنة (١٩٦٩) حول الإستطيقا الفنومينولوجية[٩] إلا أنّ قسماً من مسائل تلك الإستطيقا يتضمّنه نقد الفنومينولوجيا الجذري للنّزعات

(٩) النَّص هو محاضرة ألقاها إنغاردن في معهد الجماليات بجامعة أمستردام وظهر لاحقًا أوَّلًا باللغة البولونديّة في مجلّة تحمل اسم **دراسات جمالية** (Studia y estetyki) سنة (١٩٧٠)، ثم باللغة الأنقليزية في العدد الثالث من مجلة (Journal Aesthetics And Art criticism). وقد صدر بعد ذلك في كتابه **الإستطيقا وأنطولوجيا الفن** Esthétique et ontologie de l›œuvre d›art (Choix de textes 1937-1969), traduction Limido-Heulot, Paris, Vrin, 2011, (pp.39-63).

الطبيعويــة والموضوعيــة السّــائدة. وأهــمّ مــا أفــضى إليــه ذلــك النّقــد مجــاوزة التوتّــر القائــم بــين «التوجهــات «الموضوعيــة» و«الذّاتيــة» في الإســتطيقا»[١٠]، وإقــرار قيــام هــذه الأخــيرة عــلى محــاور ذاتيــة ومحــاور موضوعيّــة. فمنهــج الفنومينولوجيــا القصــدي ينتهــي إلى فهــم الوعــي، لا كاتجــاه خطّــي مــن الوعــي إلى الــشيء أو مــن الــشيء إلى الوعــي، بــل فكــرة مبدعــة قوامهــا علاقــة بالــذّات وعلاقــة بالــشّيء أو الموضــوع.

ورغــم أن الاهتــمام بذلــك التّرابــط بــين منهــج الفنومينولوجيــا النّقــدي وفكــرة الإســتطيقا لــم ينتــج كتبًــا تذكــر حــول فكــر هــوسّرل الجــمالي، فإنّــه أيقــظ مشــاغل إســتطيقية في الفنومينولوجيــا النّاشــئة. إذ تميّــزت فــترة ما بــين الحربــين بظهــور نصوص مهمّــة كُتِبَــتْ باللغــة الألمانيــة خاصّــة عنــد جيــل مــن الفنومينولوجيــين الذيــن تتلمــذوا عــلى هــوسّرل مثــل موريتــز غيغــر (Moritz Geiger) (١٨٨٠-١٩٣٧)[١١]، وفلاديمــير كونار (Vladimir Conard)[١٢] (١٨٧٨-١٩١٥).

أســهمت تلــك الدّراســات في التفكــير في مبحــث الإســتطيقا الفنومينولوجيــة مــن جهة موضوعهــا وأبعادهــا الفلســفية[١٣]. وقــد أنتج مســار ذلــك التفكــير لاحقًــا كتبًــا ظهــرت في النّصــف الثّــاني من القــرن العشرين وفي مطلع

(١٠) اهتــم مــارك أنــدري فــودروي (Marc-André Vaudreuil) بقــراءة إنغاردن تلك وبيّن أهميتها في أطروحة الدكتوراه التي أنجزها سنة (٢٠١٣): Vaudreuil (Marc-André), L›esthétique phénoménologique et la théorie de la valeur (Husserl, Geiger et le cercle de Munich), Université de Québec à Montréal et Université Paris IV - Sorbonne, 2013, (Thèse de Doctorat en philosophie).

ولكــن الباحــث، وهــو يهتــمّ بأصــول إســتطيقا الفنومينولوجيــا داخــل تصــورات جماعــة حلقــة ميونيــخ (Cercle de Munich)، ينبّــه إلى أن مــا سـمّاه إنغــاردن اســتتباعات إســتطيقية في النقــد الفنومينولوجــي لمنهــج النزعــات الموضوعيــة، لــم يكــن اكتشــافا خاصّــا بــه، بــل أن تلــك الفكــرة ظهــرت مــن قبــل عنــد شــباب فنومينولوجيــين انتمــوا إلى حلقــة مونيــخ (Cercle de Munich)، نفــس المرجــع، (ص/ ١٥).

(١١) نذكــر أنّ مــن أهــمّ أعمالــه كتابــه الــذي ظهــر بالألمانيــة ســنة (١٩٢٢) تحــت عنــوان: Beiträge zur Phänomenologie des ästhetischen Genusses، وترجــم إلى الفرنســية في فــترة متأخّــرة (٢٠٠٢) مــن قِبَــلِ جــون فرانســوا بســتيرو (Jean-François Pestureau) تحــت عنــوان:

Sur la phénoménologie de la jouissance esthétique

(١٢) نشــير خاصّــة إلى نصّــه الــذي ظهــر ســنة (١٩٠٨) تحــت عنــوان: «موضــوع الإســتطيقا: دراســة فنومينولوجيــة» (”Der asthetische Gegenstand. Eine Phanomenologische Studie“)، وقــد صــدر ضمــن المجلّــد الثالــث للمجلّــة الأولى المتخصّصــة في الجماليــات التــي أسســها ماكــس دوســوار (Max Dessoir): **مجلّــة الإســتطيقا والمعرفــة العامــة حــول الفنــون** (Zeitschriftfür Asthetik und allgemeine Kunstwissenschaft).

(١٣) يشــير مــارك أنــدري فــودراي (Marc-André Vaudreuil) في أطروحتــه المذكــورة إلى الأهميــة الخاصّــة لمــا كتبــه بعــض أعضــاء حلقــة ميونيــخ (Cercle de Munich) ومنهــم خاصّــة: (Walter Meckauer)، و(Werner Ziegenfuß)، و(Rudolf Odebrecht)، و(Paul Moos)، و(Donald Brinkmann). وهــو يقــدّم هــؤلاء عــلى أنّهــم أســهموا في التعريــف بالمنعطــف الجديــد للإســتيطيقا الفنومينولوجيــة، مبيّنــا أنّ نقــد إنغــاردن المفــرط لهــؤلاء في كتابــه: **الإســتطيقا وأنطولوجيــا الأثــر الفنّــي** (œuvre d›art‹ Esthétique et ontologie de) لا يحجــب قيمــة مــا قدّمــوه مــن محــاور أساســية في تلــك الإســتطيقا. وطبقًــا لمنظــور فــودراي، فــإن إنغــاردن ينســب لنفســه مــا أنجــزه هــؤلاء الفنومينولوجيــين الشــبان، الذيــن غــيّر أغلبهــم انتمــاءه مــن إســتيطيقا تيــودور ليبــس (Theodor Lipps)، (١٨٥١- ١٩١٤) النفســانية إلى فنومينولوجيــا هــوسّرل وذلــك عــلى إثــر اطّلاعهــم على مضامين أجزاء كتــاب **البحوث المنطقيــة** (١٩٠٠- ١٩٠١).

هـذا القرن[١٤]، وقدّمت وجهات نظر مختلفة حـول فكـرة «إسـتيطيقا فنومينولوجيـة» عامّـة، وكونـت منظـورًا حول شروطهـا وأنماط تكوّنهـا. إلاّ أن تلـك الكتـب، عـلى أهميتهـا، بقيـت غالبًـا منشـغلة بالتّعريـف والتّمهيـد والتّصنيـف. وبخـلاف تلـك الكتابـات، طـوّرت الدّراسـات الرّاهنة أسـاليب وطرقًا جديدة، إذ اتّجـه انشـغالها إلى مسـائل ومحـاور محـدّدة مثـل: مفهـوم القصديـة[١٥]، ومفهـوم الحكـم الإسـتطيقي[١٦]، ومفهـوم الإبـداع الفنّـي[١٧]، ومفهـوم نظريّـة القيـم[١٨].

(١٤) نشـير هنـا إلى أعمال غابريـالا سـكاراموزا (Gabriele Scaramuzza)، ومنهـا خاصّـة كتابهـا حول: **أصـل الإسـتطيقا الفنومينولوجيـة** (Le origini 1976) (dell›estetica fenomenologica). وكذلـك العمـل المهـم الـذي نشـره هانس رينر ساب (Hans Reiner Sepp) بالتعاون مع ليستر أومبري (Lester Embree)، وهـو بمثابـة **مبسّـط في الإسـتطيقا الفينومينولوجيـة** (Handbook of Phenomenological Aesthetics) (2010).

(١٥) انظـر مثـلًا بيـار رودريغـو (Pierre Rodrigo): L›intentionnalité créatrice (Problèmes de phénoménologie et d›esthétique), Vrin, Paris, 2009.، وكذلـك كتـاب رودي سـتاينماتز (Rudy Steinmetz), L'esthétique phénoménologique de Husserl (Une approche contrastée), éditions kimé, Paris, 2011.

(١٦) انظـر مثـلًا: (العـدد ٤١، ٤٢)، (٢٠٠٥)، مـن مجلـة **دراسـات فنومنولوجيـة**، وقـد تـمّ تخصيصـه لتنـاول مسـائل الحكـم الإسـتطيقي في الفنومينولوجيـا: (Questions actuelles pour une phénoménologie du jugement esthétique).

(١٧) انظـر عـلى سـبيل المثـال: أوّلًا، محمـد محسـن الزّارعـي، **الإسـتطيقا والفـنّ عـلى ضـوء مباحـث فنومينولوجيـة**، دار محمّـد علي للنّـشر، (ط. ١)، تونس، (٢٠٠٣)، (ص/ ١٦). وثانيًا: Chagnon (Katrie), Phénomenologie et Art Minimal, Éditions Universitaires Européennes, 2010.

(18) (Marc-André Vaudreuil): L›esthétique phénoménologique et la théorie de la valeur (Husserl, Geiger et le cercle de Munich).

(٣) إشكالية المفهوم الإستطيقي في فلسفة الصّورة:

إنَّ معالجتنـا لعلاقـة مفهـوم الإسـتطيقا بمبحـث مفهـوم الصّـورة في تفكـير هـوسّرل ومحاولـة البحـث في تصـوّر هـوسّرل لفلسـفة الصّـورة، يقتـضي التفكـير انطلاقًـا مـن هـذا الوضـع توضيحـات أساسـية:

أوّلًا: يمثّـل الإسـتطيقي تطـوّرًا داخليًّـا لتفكـير وعـي الصّـورة. وهـو يتطلّـب تفكّـر أنمـاط تقـوّم الفنومينولوجيا فكرة إسـتطيقية. فقـد نبّـه هـوسّرل إلى ضرورة النظـر إلى الإسـتطيقي كنمـط ظهـور مصاحـب، ثـم كنمـط ظهـور خـاصّ: إنّـه نمـط ظهـور-صـورة، ويعكـس اهتمامًا (Intérêt) في شـكل نمـط ظهور-إسـتطيقي. وهـوسرل يكشـف بذلـك علاقـة متينـة بـين حـدث الظهـور والخيـال وفعـل الإمتـاع. يتجـه البحـث بدايـة إلى التفكـير في معنـى نمـط الصـورة-الوعـي كنمـط ظهـور، ثم كسـلوك إسـتطيقي وإحسـاس متعـة في الآن ذاتـه.

ثانيًـا: يمثّـل النّظـر في الإسـتطيقا في علاقةٍ بفلسـفة الصّـورة وأنمـاط ظهورهـا إمكانيـة لتفكـير مسـائل بقيـت غامضـة في الدراسـات الهوسّرليـة المذكـورة سـابقًا حـول الإسـتطيقا. وإذ يطـوّر ذلـك النظـر فكـرة الإسـتطيقا

الفنومينولوجيــة اســتنادًا إلى فنومينولوجيــا الصــورة، فهــو يدفــع إلى التفكــير في تلــك الفكــرة كإمكانيــة فنومنولوجيّــة متقدّمــة. وإشــارات هــوسّرل إلى أن أنمــاط الظهــور تحمــل أنماطًــا مصاحبــة، وهــي أنمــاط إثــارة ومتعــة إســتطيقية، يكشــف مــن ناحيــة أن منهــج البحــث الإســتطيقي لا ينشــأ في قطيعــة مــع منهــج البحــث في ظواهــر الفنومينولوجيا بــل يــأتي استتباعًا لــه. وتقوّم الإســتطيقا علاقــة داخليــة بالفنومينولوجيــا، هــو الــذي جعــل هــوسّرل يــصرّح لصديقــه الشــاعر والأديــب هوفمنســتال[١٩] أن الفنــان لا يتملّــك صــوره الجميلــة تملّــكا نفســيًا حسّــيًا أو نفســيًا كــما تذهــب إلى ذلــك نزعــة برانتانــو النفســية، وهــو لا يتملّكهــا ضمــن وضــع مضــاد لوضــع إنتــاج المعــارف الفنومينولوجيــة، بــل هــو يتملكهــا تملّــكا لا حســيّا وفي وضــع شــبيه بوضــع الموقــف الفنومينولوجــي.

ثالثًــا: الاهتــمام بالإســتطيقا كحــدث يخــصّ تفكّــر الصّــورة يجــد أساســه المرجعــي في نصــوص كثــيرة مــن أعــمال هــوسّرل بــدءًا بكتــاب **البحــوث المنطقيــة** (١٩٠٠-١٩٠١) ومــرورًا بكتــاب **أفــكار موجهــة (١)**، (١٩١٣) **والتأمــلات الديكارتيــة** (١٩٢٩). ولكــن ذلــك الاهتــمام يســتند خاصّــة إلى مخطوطــات هــوسّرل التــي كتبهــا خــلال فــترات مهمّــة مــن مســاره الفكــري (١٨٩٨-١٩٢٥)[٢٠]، وتــم إخراجهــا تحــت عنــوان: **الفنطاســيا، ووعــي الصّــورة، والتذكّــر.** إنّهــا نصــوص تقــدّم، رغــم طابعهــا المتشــذّر، فلســفة خاصّــة حــول مفهــوم الصّــورة، وتعتــبر مــن منظــور هــوسّرل قســمًا أساســيًا مــن الفنومينولوجيــا، يتخصّــص بدراســة فنومينولوجيــا الفنطاســيا. ورغــم الاختلافــات الجزئيــة بــين مفهــوم الصّــورة ومفهــوم الفنطاســيا والتــي ينبّــه إليهــا هــوسّرل، فــإن فنومينولوجيــا الفنطاســيا تبقــى عنــده تعبــيرًا أصليًّــا عــن فنومينولوجيا الصّــورة.

(٤) الإشكاليات الفلسفيّة المرتبطة بمفهوم الإستطيقا:

إنّنــا نــولي أهميّــة كــبرى إلى مخطوطــات هــوسّرل: **فنطاســيا، وعــي الصّــورة، التذكّــر** لأنّهــا تقــدّم رؤيــة مفصّلــة لأنمــاط تؤسّــس

(١٩) «رســالة هــوسرل إلى فــون هوفمنســتال (غوتنغــن، في ١٢ جانفــي ١٩٠٧)»، تعريــب محمــد محســن الزارعــي وعــز العــرب لحكيــم بنــاني، ورد ضمــن كتــاب: **الفنطاســيا والإبــداع الفنّــي (دراســات في فنومينولوجيــا الصُّــورة)**، مرجــع مذكــور، (ص ص/ ١٥٦- ١٦٠).

(٢٠) توجــد تلــك النصــوص في المجلّــد ٢٣ مــن الهوسّرليانــا: Hua XXIII: Phantasie, Bildbewußtsein, Erinnerung (Zur Phänomenologie der anschaulichen Vergegenwärtigungen), Texte aus dem Nachlaß (1898–1925).

مفهوم الوعي الإستطيقي ضمن مفهوم وعي الصوّرة. واستنادنا إلى تلك الرّؤية من شأنه أن يوفّر لنا إمكانية تفكّر مفهوم الإستطيقا فلسفة في الصّورة. ورغم أن تلك الإمكانيّة قد أثارتها دراسات كُتبت من قبلُ حول مفهوم فلسفة الصّورة ومفهوم الخيال عند هوسّرل[٢١]، فإنّنا نرى ضرورة البحث وتدقيق النّظر في عناصرها ضمن فومينولوجيا هوسّرل حسب ثلاثة خطوط أو اتّجاهات كبرى: **الاتجاه الأوّل:** ويتعلّق بتحليل الأوضاع الفكريّة والفلسفيّة التي يؤدّي معها الاهتمام بتقوّم الإستطيقي إلى مباحث خاصّة تستدعي من النّاحية الإبستيمولوجية قيامَ فنومينولوجيا قطاعية تختصّ بالظّواهر المنتجة للجمال والمتعة. ويتّصل **الاتجاه الثّاني:** بتحليل طبيعة العلاقة بين مفهوم الإستطيقا ومفهوم فلسفة الصّورة في فنومينولوجيا هوسّرل. أما **الاتّجاه الثّالث:** فيخصّ العلاقة بين الإستطيقا والفنّ في تلك الفنومينولوجيا.

يتعلّق الأمر هنا بالتّفكير في شروط مقاربة خاصّة في مفهوم الإبداع ضمن المقاربة الفنومينولوجية. وطرح الإشكالية التّالية: هل توجد فنومينولوجيا للفنّ؟ يطرح هذا السّؤال طرحًا مزدوجًا، فهو يعني تخريج توجّه خاصّ يمكن أن يموقع الفلسفة الفنومينولوجية ضمن توجّهات الفنّ المعاصر، وهو يستخلص عناصره ممَّا تتضمّنه إستطيقا الصّورة من إمكانات طريفة. يتفكّر الاهتمام بتطوّرات المباحث الإستطيقيّة في المدوَّنة الهوسّرليّة إشكاليّات ثلاث تقصد القضايا التّالية:

القضيّة الأولى: كيفيّة تكوّن المباحث الإستطيقيّة في المدوّنة الهوسّرليّة، الذي يمثّل بمثابة المنطلق الإشكاليّ والمنهجيّ لتتبّع تبلور المباحث الإستطيقيّة في أعمال هوسّرل الأساسيّة. لنتوقّف عند أهمّ نصوص هوسّرل الّتي تناولت مسألة الصّورة في علاقة بالنظريات الجديدة التي طرحتها أعمال هوسّرل حول أنماط تقوّم الوعي عامة والوعي الإستطيقي خاصّة. ونهتمّ خاصّة بالاستشكالات التي تطرحها نصوص هوسّرل حول إمكان فلسفة فنومينولوجية خاصّة بالصّورة والإستطيقا.

القضيّة الثّانية: تهتمّ بإشكاليّة العلاقة بين الموقفين الإستطيقي والمعرفي في الفنومينولوجيا. وما بين الموقفين يوجد تباعد وتقاطع. أمّا التّباعد فيظهر في

(٢١) نشير مثلًا إلى بعض الدراسات التي أسهمت في توضيح نظريات أساسية بنى عليها هوسّرل فكره الإستطيقي ومنها خاصّة كتاب ساريفا **المخيلة لدى هوسّرل** (L'imagination selon Husserl)، (١٩٧٠)، والذي كان بمثابة قراءة نقدية لتصورات سارتر للصورة عند هوسّرل مثلما قدّمها خاصّة في كتابَيْه: **المخيّلة** (١٩٣٦)، **والخيالي** (١٩٤٠).

الاختلاف بين مشروع الفلسفة العلمية، والذي يبدو أن هوسّرل قد وضحه بعناية فائقة سواء في فترة **البحوث المنطقية** (١٩٠٠-١٩٠١) أو في فترة **أفكار** (١٩١٣)، ومشروع الإستطيقا والذي لا يمكن إعدام فرص تبلوره في ضوء ملاحظات هوسّرل حول أهمية الخيال في فلسفته وحول التماثل بين منهج تحصيل المعارف ومنهج تحصيل الفنون والجمال. والواضح هنا أنَّ البحث يتجه في هذه اللّحظة إلى التقاط عناصر تمكّن من إعادة تفكّر مفاهيم الفنومينولوجيا ومشروعها في سياق فرضيّات هوسّرل حول خطوط تقاطع المعرفة والجمال. وهو ما وجّه الاهتمام إلى مناقشة نقدية للفرضيات التي تدرج الفنومينولوجيا ضمن مسعى ميتافيزيقي.

القضيّة الثّالثة: تتعلّق بوجوه التّرابط بين مبحث الإستطيقا ومبحث الصّورة، ومحاولة تفهّم دواعي الرّبط بين مبحثَي الصّورة والإستطيقا بالعودة أوّلا إلى مفهومَي الإستطيقا والأثر الفنِّيِّ. فهما يعرضان موقفًا أصليًا يختصّ بالبحث في الصّورة، وبالعودة ثانيًا إلى الصّيغ التي انتهى إليها هوسّرل حول استشكالات فهم الصّورة في علاقة بالإدراك. وبقدر ما تُنبّه تلك الصّيغ إلى إخفاقات التّفكير التقليدي حول علاقة الصّورة بالشّيء، وسوء تقدير تلك الصّورة بردّها إلى إدراك حسّي، إلاّ أن تلك الصّيغ ترسم فنومينولوجيا الصّورة ضمن فضاء هو إستطيقي بامتياز من حيث هي تحدّد الصّورة بفضاء يندرج في إطار ما يشبه الإدراك أو الواقع. فألعاب الصّورة تنتج كلّها ضمن حركة ما يشبه الواقع. وذلك ما يبرّر علاقتها الأصليّة بالإستطيقا.

> **ولكن بقدر ما مثّل هذا العامل دافعًا لخوض تجربة البحث في هذا المجال؛ إلَّا أنّه يُبْقِي على عوائق شتّى لمن يحاول تأسيس تقاليد بحوث عربية جادّة في هذا الإطار.**

وضمن هذه الحركة في الفنومينولوجيا، نستشكل عدَّة مفاهيم مثل الحضور والظُّهور الذّاتي وكينونة الصُّورة ... وغيرها من المفاهيم التي تيسِّر قراءتنا لهذه الرَّابطة والّتي تتوحَّد وتتصالح مع الإدراك فيغدو حضورًا. كما ترتبط هذه الوحدة بتصالحها مع الفنطاسيا وحيث الاعتراف مرَّة أخرى بوعي الصُّورة الذي يحضر موضوعه في الصُّورة، فيكون المستحضر هو موضوع- صورة كما هو الحال في البورتريه. إنّ التّفكير في مفهوم

الظّهـور الفنومينولوجـي ومحايثـة هـذا الفعـل للواقـع المعيـش وتفهّـم العلاقـة بـين فعـل الحضـور بـالإدراك والمخيّلـة الّتـي لا تتقـوّم إلاّ بتشـكّل الصّـورة يتقـوّم بثلاثـة أبعـاد أساسـيّة عنـد هـوسّرل: **أوّلًا:** بحضـور الصّـورة الفيزيائيّـة. **ثانيًـا:** بالموضـوع المتمثّـل في نسـخة معينّـة. **ثالثًـا:** بالموضـوع المتمثّـل مـن خـلال ذات الصّـورة.

يتنـاول هـوسّرل بتحليـل عميـق للتّركيـب الثّنـائي بمـا هـو إسـتطيقي وفنّـي، مـن أجـل رؤيـةٍ عامّـة تحمـل معـانيَ معرفيّـة خاصّـة بالطّبيعـة والحـسّ والإحساسـات، وهـو مـا يقتـضي نقـدًا للمبحـث الإسـتطيقي المجـرّد والمغلـق في إطـار المعرفـة المفهوميّـة لا غـير، وهـو مـا يقـود أيضًـا إلى التطـرّق لمفهـوم الحـدس داخـل الصّـورة الّتـي أصبحـت مرئيّـة بنمـط الظّهـور الـذي تـمّ تمييـزه عـن فعـل الحضـور. إنّ تبلـور الأسـس الّتـي تتقـوّم بهـا الحركـة الإسـتطيقيّة للصّـورة مـن خـلال وعـي التمثّـل، وهـي أسـس نظريّـة اسـتطاع هـوسّرل أن يبنـي عليهـا مـشروع فلسـفته العمليّـة ونقـد فلسـفات الصُّـورة في الفكـر الفلسـفي ضمـن المـشروع الفنومنولوجـي. ففيـمَ تتمثّـل فكـرة الإسـتطيقا؟ ومـا هـي أهـمّ تطوّراتهـا عنـد هـوسّرل؟

(٥) فكرة الإستطيقا وتطوُّراتها في فنومنولوجيا هوسّرل:

تثير إشـكاليّة تكـوّن فكـرة الإسـتطيقيا[٢٢] في المدوّنـة الهوسّرليـة صعوبـات تضـع الباحـث مـن جهـة أمـام بنـاء يـكاد بصرامتـه العقليّـة ينحـصر في العلـوم والبحـوث المنطقيّـة، ومـن جهـة أخـرى أمـام عنـاصر متحوّلـة أو مسـائل متنوّعـة تراوحـت بـين الفنّـي والإسـتطيقي في الفنومينولوجيـا. فالفـنّ حسـب هـوسّرل هـو الّـذي «يقـدّم لنـا مـلاء دون نهايـة مـن الخيـال الإدراكي، بمعنـى فنطاسـمات تكـون محـض إدراكيّـة مثلهـا مثـل (الأفعـال) الّتـي تنتـج بصـورة

(٢٢) يقـول باومغارتـن في تعريفـه للإسـتطيقا: «إنّ الإسـتطيقا كعلـم مـا زالـت جديـدة»، Baumgarten (Alexander Gottlieb), Esthétique précédée des Méditations philosophiques sur quelques sujets se rapportant à l'essence du poème et de la Métaphysique (§§.501-623), traduction, présentation et notes par J.-Y. Pranchères, édition de l'Herne, Paris, 1988, p.246..
لذلـك، يتمتّـع التّفكـير الجيّـد بـ«قواعـد»، نفـس المرجـع ونفـس الصّفحـة، فـكان مـن الـضّروري أن جمـع باومغارتـن جميـع هـذه القواعـد تحـت صياغـة علميّـة محكمـة التّنظيـم. لذلـك ليـس غريبًـا، كـما يقـول باومغارتـن: «أن نطلـق عـلى هـذا العلـم اسـم نظريّـة العلـوم الجميلـة»، نفـس المرجـع ونفـس الصّفحـة. وهـو العنـوان الّـذي كان قـد وضعـه مايـر(M. Maeir) عـلى الأثـر الّـذي كتبـه. وإذا مـا كان الحديـث سـابقًا مركّـزا عـلى اسـتعمال هـذه الصّياغـة أو العبـارة: «العلـوم الجميلـة»، نفس المرجـع ونفـس الصّفحـة. فـإنّ هـذه العلـوم كـما يـرى ذلـك باومغارتـن «ليسـت لهـا أيّـة علاقـة بمـا هـو علمـي»، نفـس المرجـع، (ص/ ٢٤٨). لكـنّ، الألمـان يسـتعملون عبـارة: «فـنّ التّفكـير بجـمال»، نفـس المرجـع، (ص/ ٢٤٦). وهـو مـا هـو مألـوف لديهـم، لذلـك يمكـن اسـتعمال هـذه العبـارة الألمانيّـة أيضًـا فنسـمّي هـذا العلـم بـ«فلسـفة أربـاب الفنـون»، نفـس المرجـع، (ص/ ٢٤٧). كـما يسـمّي الإسـتطيقا بـ«ميتافيزيقـا الجمال»، نفـس المرجـع، (ص/ ٢٤٧).

محـض»[23]. وبالرّغـم مـن تكويـن هـوسّرل الرّيـاضي، ذلـك لـم يمنـع اهتمامـه بتطويـر مباحـث إسـتطيقيّة والوقـوف عـلى مشـاكل تقوُّمِهـا الأوّلي وتكوّنهـا.

فـ«إذا كان هـوسّرل يقـف ثابتًـا عنـد بديهيّـات التكـوّن فليـس ذلك جنونًـا للوعي، ولا يعنـي أنّـه يحـقّ للوعـي أن يحـلّ محـلّ مـا هـو واضـح (...) بـل إنّ الحقـل المفـارق لـم يعـد فقـط حقـل أفكارنـا»[٢٤]. لذلـك خصّـص هـوسّرل اهتمامًـا للأفعـال الحدسـيّة والمحسوسـة للوعـي لغايـة تأسـيس نظريّـة في الحكـم وهـذا مـا قـد اهتـمّ بـه في الجـزء الثّـاني مـن **بحـوث منطقيّـة**[٢٥]. لكـنّ هـوسّرل تجـاوز هـذه المقاصـد المحـدودة والنّظريّـة في كتابـه **فنطاسـيا، وعـي الصّـورة، التذكّـر**[٢٦] بهـدف تأسـيس فلسـفة عمليّـة تهتـمّ بالإسـتطيقا ووعـي الصّـورة والفنطاسـيا، فكانـت مـن أوّل كتاباتـه المهتمّـة بالنّظـر والحديـث في هـذه الصّعوبـات التّأسيسـيّة في الفلسـفة. يتمثّـل مقصـد هـوسّرل، كـما يوضّـح ذلـك باتوشـكا، في «البحـث عـن

(23) Phantasia, conscience d'image, souvenir, p.489.

لقـد بـيّن هـوسّرل في نفـس الإطـار، في بحـوث منطقيـة (١٩٠٠-١٩٠١) الخاصيّـة الإسـتطيقيّة للصّـورة ووقـف عنـد خطـأ النّظريّـة الكلاسـيكيّة للصّـورة الّتـي تجعـل مـن اللّوحـة مجـرّد تمثيـل وتصويـر للخـارج لأنّ اللّوحـة لا تكـون صـورة إلاّ بالنّسـبة إلى وعـي يكـون حامـلًا لصـورة فيدركها كقيمـة. فـإذا كانـت كلّ لوحـة صـورة فإنّهـا لا تكون صـورة إلاّ بفضـل هـذا الأنـا القـادر عـلى تمثّـل الشّـبيه في الصّـورة. انظـر:

Recherches logiques, (t.2: Recherches pour la phénoménologie et la théorie de la connaissance), (2ème parite: Recherches III, IV et V), traduction Hubert Elie, Arion L. Kelkel et René Schérer, P.U.F., collection Épiméthée, 3ème édition, Paris, 1993, (Appendice aux paragraphes 11 et 20, pp.228-231)..

لقـد وجدنـا نفـس هـذا التّفسـير في **أفـكار (١٩١٣)**، في الفقـرة ٣ خاصّـة عنـد تحليلـه لنحـت ديـرر: **الفـارس والمـوت والشّـيطان**. يفسّـر هـوسّرل التأمّـلات الإسـتطيقيّة لهـذه اللّوحـة فـيرى أنّنـا أصبحنـا نتعامـل مـع وقائع مصـوّرة وممثّلـة في صـورة متمثّلـة في بورتـراي لكـن لا يمثّـل هـذا الموضوع المصـوّر وجـودًا وهـو كذلـك ليـس لا وجـودا ولا يمكـن أن يتموضـع في أيّ وضـع مغايـر، لكـنّ الوعـي هـو الّـذي يجعـل مـن الصّـورة شـبه-كينونة. انظـر: Idées directrices pour une phénoménologie،، مصـدر مذكـور، (ص/ ٣٧٠). اكتسـت نظريّـة الصّـورة في **بحـوث منطقيّـة وأفـكارا** قصديّـة ورؤيـة إسـتطيقيّة فنومينولوجيـة بصـورة مختزلة، لكنّهـا توضّحت وتعمّقـت أكـثر في كتـاب **فنطاسـيا، وعـي الصّـورة، التذكّـر (١٩٠٤-١٩٠٥)** حيـث توضّحـت بعمـق عـدّة مسـائل كالوعـي المتخيّـل والخيـال والإدراك والفنطاسـيا ... لقـد كشـفت لنـا المدوّنـة الهوسّرليّـة مـدى خصوبـة وتنـوّع صـور الخيـال المصاحـب للقصديّـة الإسـتطيقيّة. لذلـك، تكمـن الوظيفـة الأساسـيّة والعمليّـة لهـذه البحـوث في التّقييـم النّقـدي للوعـي الإسـتطيقي والتأسـيس لفنومينولوجيـا الفـنّ خاصّـة. لقـد بـيّن رودي سـتاينمتز أنّ الفلسـفة كفنومينولوجيـا لهـا القـدرة عـلى اكتشـاف مـا للفـن مـن معرفـة قبليّـة ونهائيّـة ويقينيّـة ولا مشـروطة وميـزة الفـنّ فنومينولوجيًّـا أن يكـون صالحًـا لـكلّ زمـان ومـكان وأيًّـا كان الموضـوع الّـذي يعالجـه. انظـر: Steinmetz (Rudy), L'esthétique phénoménologique de Husserl (Une approche contrastée)،، مرجـع مذكـور، (ص/ ١٤).

(٢٤) مرلـو- بونتـي (موريـس)، **تقريـظ الفلسـفة**، تعريـب قزحيـا خـوري، منشـورات عويـدات، سلسـلة زدني علـمًا، (ط. ١)، بيروت-لبنـان/ باريـس-فرنسـا، (١٩٨٣)، (ص/ ٢٠٨).

(٢٥) يوضّـح نـصّ **بحـوث منطقيّـة** (١٩٠٠-١٩٠١) بعـض المفاهيـم مثـل «الحـدس» و«الوعـي». لذلـك لـم يقـدّم لنـا هـذا النـصّ نظريّـة في الإسـتطيقا. لكـن مـا يجـب أن نثمّنـه في **بحـوث منطقيّـة** هـو النّظـرة الدّاخليّـة والعميقـة الّتـي اكتسـبها القـارئ والّتـي مـن خلالهـا يتجـلّى مجمـوع المعيـش ووصـف للماهيّـات. انظـر أيضًـا كتـاب هـوسرل:

Psychologie phénoménologique, (1925-1928), traduction de l'allemand par Phillippe Cabestan, Natalie Depraz et Antonino Mazzu, revue par Françoise Dastur, ouvrage publié avec le concours du Goethe-Institut Inter Nationes, Vrin, Paris, 2001, p.32.

(٢٦) انظر:

Phantasia, conscience d'image, souvenir, (Introduction de l'éditeur par Eduard Marbach), p.11.

منظومة التّأسيس الأرتماطيكي»[27]. لذلك تكمن فعاليّة هذا التّأسيس في الاعتناء بـ«الدّمج بين الطّريقة المنطقيّة والطّريقة البسيكولوجيّة في المعرفة النّظريّة»[28]. كما خصّص هوسّرل لهذا المبحث النّظري والمنطقي كتابًا أساسيًّا بعنوان **فلسفة العدد**[29]. انطلق هذا البناء الهوسّرلي النّظري للمبحث الإستطيقي في البداية بشيء من الاحتراز؛ لأنّه اكتفى بالتّأسيس النّظري الفلسفي للمسألة.

> **خصّص هوسّرل اهتمامًا للأفعال الحدسيّة والمحسوسة للوعي لغاية تأسيس نظريّة في الحكم وهذا ما قد اهتمّ به في الجزء الثّاني من بحوث منطقيّة.**

لعلّ إحالتنا على بعض كتابات هوسّرل النّظريّة توضّح لنا بدايات أولى لتفكير فلسفي في الإستطيقا ولكن تبلوُر ذلك التّفكير بصورة بيِّنة لم يحصل إلاّ في مرحلة متقدّمة من فلسفة هوسّرل. ففي تلك المرحلة ظهر جهدًا تنظيريًا لتلك المسألة[30]. هذا بالإضافة إلى نصّ رسالته إلى هيغو هوفمنستال[31] التي عمّق من خلالها مقاصد الفنّان والفنومينولوجي، ونظرتيهما المتآلفتيْنِ للعالَم. لقد علّق هوسّرل كلّ هذه المباحث الإستطيقية ووضعها بين قوسين. لكنّ الإيبوخيا لم يستثنِ القيمة الفنّية فطبّق عليها ما كان قد طبّقه على القيم العلميّة والتيولوجيّة والأكسيولوجيّة للوعي. لقد كان «هوسّرل يثق بالحقيقة الّتي نحن فيها منذ الولادة، والّتي ينبغي أن يكون بمقدورها أن تَسَعَ حقائق الوعي وحقائق الطّبيعة»[32]. وبالتّالي، فإنّ لحظة انتقال هوسّرل إلى الإشكاليّة الإستطيقيّة لا تخلو كذلك من دلالة ذات مأثور قيمي باعتبارها ذات منزلة تستند إلى حقائق الطّبيعة والحقائق الحضاريّة الفاعلة بما

(27) Patocka (Yan), Introduction à la phénoménologie de Husserl, traduction du tchèque par Erika Abrams, ouvrage traduction avec le concours du centre national du livre, Jérôme Millon, Grenoble, 1992, p.30.

(٢٨) نفس المرجع ونفس الصّفحة.

(٢٩) سنة (١٨٩١).

(٣٠) مثل كتاب **بحوث منطقيّة** (١٩٠٠- ١٩٠١)، وكتاب **أفكار موجهة** (ج/ ١)، (١٩١٣)، وكتاب **حول التّجربة والحكم** (١٩٣٦). أمّا كتاب **فنطاسيا، وعي الصّورة والتذكّر** وهو درس سنة (١٩٠٤-١٩٠٥) والّذي كُرِّس لمبحث الخيال كان قد نشره إدوارد ماربـاخ (Edouard marbach) ضمن أرشيف هوسّرل في لوفان (Louvain) مع عدّة مخطوطات. لقد بحث هذا الدّرس إشكاليّة الخيال، واعتبر بمثابة استهلال للفلسفة العمليّة الإستطيقيّة.

(٣١) (١٢ جانفي ١٩٠٧).

(٣٢) مرلو-بونتي، **تقريظ الفلسفة**، مرجع مذكور، (ص/ ٢٠٨).

أنّ لها ارتباطًا بـ«منتجات الحضارة والآثار التّقنية والفنون الجميلة والعلم»[٣٣]، وهو ما مكّنه من تشييد قول فلسفي حول الاستطيقي.

لقد كشف المبحث الإستطيقي[٣٤] لدى هوسّرل عن معانٍ لم تكن لتكشف عنها نصوص أفلاطون وأرسطو، إذ ما انفكّ هذا الفكر الفلسفي التّقليدي يحتجز عبر تاريخه الثّنائيات التّقليديّة[٣٥]. إذا كانت الميتافيزيقا قد استجابت إلى التّفكير المنطقي كما يؤكّد ذلك باديو معالجًا لموقف لافيناس، فإنّ من بين أولويّاتها اتّخاذ الماهيّة والهويّة كمبدأ أساسي في التّفكير. لكنّ هذه الميتافيزيقا كانت غير قادرة على إلقاء تفكير أصلي على الآخر، أو القيام بإتيقا تواصليّة مع الآخر؛ لأنّها كانت عاجزة عن معرفة الآخر. لذلك، وكما يقول باديو في كتابه **الإتيقا:** «يجب أن نحوّل وجهة التّفكير نحو أصل مختلف، في اتّجاه أصل لا إغريقي يفترض انفتاحًا جذريًا وأوّليًا على الآخر الأنطولوجي السّابق في بناء هويّة ذاتيّة»[36].

> **إذا كانت الميتافيزيقا قد استجابت إلى التّفكير المنطقي كما يؤكّد ذلك باديو معالجًا لموقف لافيناس، فإنّ من بين أولويّاتها اتّخاذ الماهيّة والهويّة كمبدأ أساسي في التّفكير.**

إذا كان كانط في **نقد ملكة الحكم** يميّز بين «التّقييم الرّياضي» و«التّقييم الإستطيقي» ويختزل التّقييم الرّياضي في مجرّد اهتمامه بمدى نسبة الكِبَرِ، وذلك بعمليّة وضع مقارنة مع أشياء أخرى من نفس الصّنف؛ فإنّ ما يقدّمه التّقييم الإستطيقي في شأن «الكِبَرِ» يكون «محضًا»، وهذا ما يستطيع الفكر حدسه. يستشهد كانط في نفس الإطار بسفاري[٣٧] حيث

(٣٣) (Idées)، مصدر مذكور، (ص/ ١٨٨).

(٣٤) إنّ لفظة إستطيقا قد قدّمت سنة (١٧٣٥) من قِبَلِ باومغارتن (Baumgarten) في كتابه **الإستطيقا** المترجم من اللّغة الألمانيّة من قِبَلِ برانشار (Jean-Yves Pranchère)، كما نجدها عند كانط في كتابه **نقد ملكة الحكم** (سنة ١٧٩٠)Critique de la faculté de juger. إنّ الجديد في الإستطيقا بالنّسبة إلى باومغارتن هو تحقيق العلميّة في معرفة معايير الذّوق السّليم. أمّا كانط فيرى أنّ حكم الذّائقة لا يمكن أن يكون حكمًا معرفيًا لأنّه ليس منطقًا ولكنّه إستطيقًا. انظر في هذا الشّأن الكتابَيْن التاليَيْن: أوّلًا: (Baumgarten, Esthétique)، مرجع مذكور، (ص/ ٨). وثانيًا:

Kant (Emmanuel), Critique de la faculté de juger, traduction Alexis Philonenko, Vrin, 7èmetirage, Paris, 1986, p.4.

(٣٥) انظر:

Saraiva (Maria Manuela), L'imagination selon Husserl, Martinus Nijhoff, LA HAYE, 1970, p.25.

(36) Badiou (Alain), L'éthique (Essai sur la conscience du mal), HATIER, Paris, 2004, p.19.

(٣٧) عالِم بالمصريّات، وُلد سنة (١٧٥٠).

لاحظ هذا العالم في رسائله المصريّة بأنّه يجب عدم الاقتراب كثيرا من الأهرامات لأنّ العين تحتاج إلى زمن معيّن لتطوير ملاحظاتها الممتدّة من قاع الهرم إلى قمّته. ويجب ألا تبتعد العين كثيرًا عند عمليّة الرّؤية لأنّ من شروط الملاحظة والرّؤية السّليمة أن تدقّق العين في تأمّل ملاحظة براعة ومدى فنيّة تأسيس الحجارة في سلّم بنائها، وذلك طلبًا لتفعيل الحكم الإستطيقي ذاتيًّا[٣٨]. لقد أورد كانط هذا المثال حتّى يبيّن أنّ الإدراك الأوّل يضمحلّ قبل عمل المخيّلة. إذْ لا يمكن الوصول إلى فهم كامل مهما بلغت درجةُ معرفة الذّات ببعض الظّواهر. لكنّ هوسّرل وإن اتّفق في بعض الجوانب مع كانط فإنّ له ما يميّز مسعاه الإستطيقي والمتمثّل في إصراره على أنّ الصّورة الإستطيقيّة الّتي يبيّن بأنّها تتقوّم بالإدراك وقد تستبق المخيّلة، تحمل استشكالات وأبعادًا مختلفة تتراوح بين فعل الظّهور والحضور. لذلك، نجد في الجزء السادس من **بحوث منطقية** طريقة في معالجة هوسّرل للمخيّلة بحرّكية مستشكلة تتعارض مع النّظرة السّكونيّة. ولتجنّب كلّ لَبسٍ فقد ميّز هوسّرل بوضوح بين كلٍّ مِن فعل الإدراك وفعل المخيّلة كنمطين مختلفين عن بعضهما البعض.

خاتمة

لقد انشغلت معظم الأعمال التي كُتِبَتْ حول فكر هوسّرل بقضايا ومسائل فكره المعرفي. ولم تتوفّر حسب علمنا، دراسةٌ شاملة ووافية حول تفكير هوسّرل الإستطيقي خلال الفترة الممتدة إلى نهايات القرن الماضي. ثالثًا، ونتيجة لما سبق ذكره، خضعت فكرة الإستطيقا عند هوسّرل إلى تقويمات سلبية، إمّا لقلّة وضوح الكتابة الفنومينولوجية وعدم انتظامها، فهي متفرّقة ومتشذّرة؛ أو بسبب طغيان المرجعيّة المنطقيّة والعلميّة على المنظور الإستطيقي، وصعوبة مواءمة مفاهيم البحث الإستطيقي مع مفاهيم الفلسفة الهوسّرلية القائمة على مبدأ التحييد (Neutralisation) وسلب الإدراك. لا يمكن للباحث الذي يهتم بفكر هوسّرل الفلسفي والجمالي اليوم أن يشتغل على نصوصه بمعزل عن الصّعوبات. إلّا أن البدء بها يشكل أحد المداخل الأساسية لمباشرة المفهوم الإستطيقي واستشكالاته عند هوسّرل. فالصّعوبة تطرح هنا

(٣٨) انظر: (Kant, Critique de la faculté de juger,)، الكتاب الثّاني، مرجع مذكور، §26، (ص/ 91).

كإمكانيّة تفكير لا مجرّد عائق بحث. ورغم أنّ لهذه الإشكاليّات كينونة إجرائيّة فإنّ هوسّرل لم يركّزها كوحدة مؤسّسة بشكل نهائي إلّا في نصّ **فنطاسيا، وعي الصّورة، التذكّر**، ولذلك أيضًا كان نمط الظّهور هو وحده الإستطيقي. إنّ ما يقصده هوسّرل في هذا المجال هو تثمين للقيمة الإستطيقيّة بغضّ النّظر عن إمكانيّة حضور الموضوع فعليّا.

قائمة المصادر والمراجع

(ا) قائمة المصادر:

*** باللّسان العربي:**

- «رسالة هوسرل إلى فون هوفمنستال (غوتنغن، في ١٢ جانفي ١٩٠٧)»، تعريب محمد محسن الزارعي وعز العرب لحكيم بناني، ورد ضمن كتاب: **الفنطاسيا والإبداع الفنّي (دراسات في فنومينولوجيا الصُّورة)**، كتاب جماعي، منشورات وحدة بحث ثقافات فنيّة، ومعارف وتكنولوجيا، سلسلة فنون (عدد ١٠)، قابس-تونس، (٢٠١٠).

*** باللّسان الفرنسي:**

- Husserl, Phantasia, conscience d'image, souvenir, (De la phénoménologie des présentifications intuitives), textes posthumes (1898-1925), traduction de l'allemand par Raymond Kassis et J.-F. Pestureau et Marc Richir, int. Eduard Marbach, traduction avec le concours du Centre national du livre, (traduction française, J.-F. Pestureau), Jérôme Millon, Grenoble, 2002.

- ---, Psychologie phénoménologique, (1925-1928), traduction de l'allemand par Phillippe Cabestan, Natalie Depraz et Antonino Mazzu, revue par Françoise Dastur, ouvrage publié avec le concours du Goethe-Institut Inter Nationes, Vrin, Paris, 2001.

- ---, Recherches logiques, (t.2: Recherches pour la phénoménologie et la théorie de la connaissance), (2ème partie: Recherches III, IV et V), traduction Hubert Elie, Arion L. Kelkel et René Schérer, P.U.F., collection Épiméthée, 3ème édition, Paris, 1993.

- ---, Idées directrices pour une phénoménologie et une philosophie phénoménologique

Heulot, Paris, Vrin, 2011, (pp.39-63).

- Kant (Emmanuel), Critique de la faculté de juger, traduction Alexis Philonenko, Vrin, 7èmetirage, Paris, 1986.

- Saraiva (Maria Manuela), L'imagination selon Husserl, Martinus Nijhoff, LA HAYE, 1970.

- Steinmetz (Rudy), L'esthétique phénoménologique de Husserl (Une approche contrastée), éditions kimé, Paris, 2011.

- Vaudreuil (Marc-André), L›esthétique phénoménologique et la théorie de la valeur (Husserl, Geiger et le cercle de Munich), Université de Québec à Montréal et Université Paris IV-Sorbonne, 2013, (Thèse de Doctorat en philosophie).

- Patocka (Yan), Introduction à la phénoménologie de Husserl, traduction du tchèque par Erika Abrams, ouvrage traduction avec le concours du centre national du livre, Jérôme Millon, Grenoble, 1992.

pures, t.1: Introduction générale à la phénoménologie pure, traduction P. Ricœur, Gallimard, Paris, 1950.

(٢) قائمة المراجع:

***باللِّسان الفرنسي:**

- Badiou (Alain), L'éthique (Essai sur la conscience du mal), HATIER, Paris, 2004.

- Baumgarten (Alexander Gottlieb), Esthétique précédée des Méditations philosophiques sur quelques sujets se rapportant à l'essence du poème et de la Métaphysique (§§.501-623), traduction, présentation et notes par J.-Y. Pranchères, édition de l'Herne, Paris, 1988.

- Chagnon (Katrie), Phénomenologie et Art Minimal, Éditions Universitaires Européennes, 2010.

- Ingarden (Roman), Esthétique et ontologie de l›œuvre d›art (Choix de textes 1937-1969), traduction Limido-

* **باللِّسان العربي:**

- توفيق (سعيد)، **الخبرة الجماليَّة (دراسة في فلسفة الجمال الظَّاهراتيَّة)**، المؤسَّسة الجامعيَّة للدراسات والنَّشر والتوزيع، (ط. ١)، بيروت، (١٩٩٢).

- الزَّارعي (محمَّد محسن)، «الصُّورة والاستدعاء»، نشر ضمن كتاب **مقاربات الصُّورة**، سلسلة فنون، قابس-تونس، (٢٠٠٤).

- --، الاستطيقا والفنّ على ضوء مباحث فنومينولوجية، دار محمّد علي للنّشر، (ط. ١)، تونس، (٢٠٠٣).

- --، **القصديّة والإبداع (مقاربات للصّورة الفنيّة)**، المغاربيّة للتّوزيع، (ط.١)، تونس، (٢٠١٢).

- مرلو-بونتي (موريس)، **تقريظ الفلسفة**، تعريب قزحيا خوري، منشورات عويدات، سلسلة زدني علمًا، (ط. ١)، بيروت-لبنان/ باريس-فرنسا، (١٩٨٣).

مركز نماء للبحوث والدراسات
Namaa Center for Research and Studie